النشـــــــــرة

تصــدرها مطــرانية الــروم الأرثوذكــس في بــيروت

العدد ٣٥ / ٢٠٠٠

الأحد ٢٧ آب

تذكار أبينا البار بيمن

اللحن الأول

إنجيل السَحَر العاشر

الــرســالــة (١ كورنثوس ٤ : ٩ – ١٦)

الإنــجــيــل (متى ١٧ : ١٤ –٢٣)

+ البار موسى الحبشي

تُعيِّد الكنيسة المقدسة في الثامن والعشرين من آب لتذكار القديس البار موسى الحبشي الذي يُعتبر نموذجاً للتوبة إلى جانب القديسة مريم المصرية، وبعد أن كان قاطعاً للطرق وقاتلاً صار ناسكاً ومدافعاً عن المقهورين.

وُلد موسى في بلاد الحبشة عام ٣٤٠، وكان ما زال طفلاً عندما بيع عبداً من أحد أكابر مصر. شبَّ موسى على الرذيلة فطرده سيّده من قصره بسبب كثرة السرقات التي كان يقوم بها في القصر. جمع موسى عدداً من الشبان

الأشقياء وألفوا عصابة لسرقة المسافرين، وكانوا لا يتوانون عن قتل من يقاومهم، أو تخريب ممتلكاته. وكان يبيع قسماً من مسروقاته ليشرب الخمر حتى السكر.

بقي موسى يعيش في الرذالة إلى أن بلغ الثلاثين من عمره، حين امتدت إليه يد الله ومست قلبه وانتشلته من حفرة الرذائل وليل الخطيئة. ولئن كنا لا نعرف كيف اهتدى موسى، إلا أننا نعرف انه غيَّر نهجه وقصد الصحراء المصرية ليعيش ناسكاً وسائحاً على دروب الرب، واصطحب معه أحد رفاقه اللصوص التائبين. هناك أخضع ذاته لإرشاد القديس مكاريوس الكبير الذي أخذ يربيه وينميه في المسيح، فانكب موسى على الصيامات والتقشفات والصلوات. وحدث بعد فترة من تنسكه أن هاجمه أربعة لصوص في منسكه، فاستطاع أن يربطهم ويجلبهم إلى الدير القريب وطلب من الرهبان أن يصدروا حكمهم على اللصوص لأنه لا يستطيع أن يصنع شراً بأحد. توسل اللصوص إلى الرهبان معترفين بخطاياهم، ولما علموا أن هذا الناسك الذي فعل بهم هذا هو موسى قاطع الطريق الشهير، مجدوا الله وقرروا التشبه به والبقاء في الصحراء للتنسك والعيش في السيرة المستقيمة.

بعد مدة مضى موسى إلى مكاريوس مشتكياً من كثرة زيارات الرهبان له، فنصحه مكاريوس أن يبتعد أكثر في القفار، فمضى وسكن في كوخ بعيد جداً لكي لا يزوره أحد، لكن الشيطان أراد إسقاطه فصار يجلب إلى مخيلته تلك الأفعال القبيحة التي كان يقوم بها عندما كان شريراً. ذهب موسى إلى أيسيدوروس كاهن السواح في البراري لطلب المشورة، فأشار إليه بأن الجسد الذي تعوَّد على الرذيلة يلزمه وقت ليتعوَّد على الفضيلة. وهكذا فإن فكرة الزنا سوف لن تعود إذا لم تجد آذاناً صاغية. عاد موسى إلى كوخه وضاعف التقشفات حتى انه لم يكن يأكل سوى القليل من الخبز، مرة واحدة في اليوم، إلى جانب قيامه بالعمل اليدوي والصلوات. بقيت الأفكار الدنسة تحاربه فقصد شيخاً آخر نصحه بتعويد نفسه على السهر طويلاً في الصلاة. واظب موسى على الصلاة أكثر حتى انه كان يقضي أيام عدة دون الجلوس كي لا ينام بل يواظب على الصلاة، لكن الشيطان ازداد محاربة له. فقصد ايسيدوروس مجدداً فأخذه إلى مكان عالٍ وأراه من ناحية الغرب عدداً كبيراً من الشياطين الذين يحاربون الأبرار، كما أراه في الشرق عدداً كبيراً من الملائكة الذين يحرسون الأبرار من هجمات الشياطين. فالله لا يهمل

أحداً وهو أشد قوة من الشيطان. المهم أن يتكل الإنسان على الله. عـاد موسـى متشجعاً وشاكراً المسيح على كل نعمة.

ولما أراد موسى أن يجد لنفسه نوعاً جديداً من الفضائل، وحيث ان المـاء قليل في الصحراء، قرر أن يمضي لياليه وأيامه في جلب الماء للنساك الشـيوخ، وكان يجتاز المسافات الطويلة لكي يجلب لهم المـاء. وقـد شـهد لـه القديس ايسيدوروس بأنه تغلب على الشيطان وصار بإمكانه تناول الأسرار المقدسة. وصلَّى ايسيدوروس لأجله فمضى بسلام إلى قلايته وعاش نظير باقي قاطني البراري مـن النساك.

بعدها جربه الشيطان بتجربة أقسى وهي الكبرياء، فتلفـظ لكلمـات مهينـة للقديس مكاريوس. سقط موسى على الأرض يتخبط ويزبد، فما كان من مكـاريوس إلا ان جثا على ركبتيه وصلَّى إلى الله من أجل موسى فشفي وعاد متواضعاً.

بقي موسى يتقدم في الحياة الروحية حتى انه صار مقصداً للرهبان لطلـب المشورة والبركة، ولما علم البطريرك الإسكندري بفضائله ألزمه السيامة الكهنوتيـة وأوكل إليه رعاية كل النساك في تلك القفار، مما جعله أكثر تواضعـاً وخدمـة. ولما أراد والي مصر أن يلتقي موسى لكثرة ما سمع عن فضائله، هرب موسـى عندما علم بقدومه. وإذ التقيا صدفة في الطريق دون أن يعرف الوالـي موسـى، وسأله الوالي عن مكان الناسك موسى أجابه لماذا تريد رؤية هذا المجنون وتـابع طريقه. عندما وصل الوالي إلى الدير وأخبر الرهبان عن هذا الشـخص. سـألوه عن شكل الراهب الذي التقاه، فأجابهم أنه رجل شيخ أسود حقير الثياب، فـأخبروه ان هذا هو موسى الحبشي. عاد الوالي إلى مقره ممجداً الله على تواضع موسى.

عُرف موسى بمحبته الفائقة والرحمة الكبيرة، حتى انه عندما دُعـي مـن الرهبان للمشاركة في إصدار الحكم على ناسك سقط في الخطيئة أتى حاملاً علـى ظهره دلواً مملوءاً بالرمل. ولما سألوه عنه أجابهم: «هذا هو حمل الخطايا الكثيرة التي ارتكبتها، وأنا حاملها على ظهري دون أن أشاهدها» ففهموا مقصده وعـاملوا السائح الخاطئ بالرحمة.

لم يكن موسى يتكلم عن الفضائل إلا أمام الذين يشعر أنهم مستعدون لذلك ويبدون جدية في الموضوع. وكان يشدد على ان الراهب لا يمكنه أن يعيش بيـن الناس كما ان السمك لا يستطيع أن يعيش خارج الماء.

بقي موسى زمناً طويلاً في البرية وشاخ هناك، وكان البرابرة يعيشون قرب النساك ويهاجمونهم من وقت لآخر. في أحد الأيام كان موسى يتحدث مع سبعة نساك وقال لهم ان البرابرة سوف يهجمون لذا «من يريد الهرب فليهرب ويخلص نفسه». أجابوه اننا نموت معك لأنه رفض الهرب قائلاً: «من أُخذ بالسيف بالسيف يُؤخذ». هجمَّ البرابرة في تلك الليلة وقتلوا موسى ورفقته إلا واحداً اختبأ تحت سلة في الكوخ. هكذا مات موسى شهيداً بعد حياة جهاد طويلة. فبشفاعته اللهم ارحمنا وخلصنا آمين.

+ عقيدتنا

الله موجود

«ما أعظم أعمالك يا رب كلها بحكمة صنعت... عجيبة هي أعمالك ونفسي تعرف ذلك يقيناً» (مز ١٠٤: ٢٤و١٣٩ :١٤).

كل محاولة لشرح جوهر المسيحية، جوهر الإيمان والحياة المسيحية تصطدم بعقبة الطلب الدائم لبرهان على وجود الله. وغالباً ما يُطلب برهان علمي مبني على المعرفة الموضوعية والأرقام والحسابات والاختبارات، وهذه المعرفة الموضوعية «العلمية»، كما قلنا سابقاً، غير متوفرة عند الحديث عن أمور تتعلق بالإيمان والله والوجود. لكن، رغم يقيننا بأن مثل هذه المعرفة غير متوفرة، وبأن الحدود لا يستطيع إدراك اللامحدود، سوف نحاول أن نتلمس معاً وجود الله علَّنا نوفق في برهان وجوده. لا ندّعي اننا نقدم برهاناً علمياً، فالعقل لا يدرك الله إنما يستطيع أن يهتدي إليه انطلاقاً من آثاره في الكون، دون أن يشكل هذا الاهتداء عملية من نوع البرهان العلمي أو الرياضي، وهذا ما يتنافى مع طبيعة الإيمان والله كما ذكرنا سابقاً.

<u>أولا</u> : ان الإيمان بوجود إله الله ظاهرة كونية لدى جميع الشعوب. منذ بدء الأزمنة، إلى حيث يمكننا اقتفاء آثار وجود البشر، نجد ان الإنسان كان يؤمن بوجود إله. الإنسان البدائي والإنسان المتحضر يؤمنان بوجود إله. صحيح ان إيمان بعض الشعوب كان وثنيا ومغلوطا، إذ كانوا يعبدون الشمس والقمر والنجوم إلخ...، لكن الأكيد ان لكل إنسان إلها يعود إليه في كل شيء ويعتبره مصدر وجوده. المسيحيون هم من بين الذين قالوا بوجود إله هو الله، وعاشوا هذا الإيمان بالله واختبروه، وعرفوا الله بالإيمان.

رغم وجود هذه الظاهرة لدى جميع الشعوب ما زال البعض ما زالوا على إلحادهم، الماركسيون مثلاً الذين يقولون بعدم وجود الله طالما لا يستطيع أحد أن يبرهن وجود الله علمياً، ويستندون على القول الإنجيلي أن «الله لم يره أحد قط» (يو ١:١٨). نجحوا لدى بعض ضعفاء الإيمان ولكنهم استبدلوا الإيمان بالخرافات والاعتقاد بعلم الفلك وقراءة الطالع، أي انهم استبدلوا الله بأمور هي أيضاً لا براهين علمية عليها. وهكذا فهم يخالفون مبادئ كل البشرية المؤمنة بوجود الله.

ثانياً : رغم القول أن «الله لم يره أحد قط»، نعلن، نحن المؤمنين، وجوده لأننا نعرفه بالإيمان، الإيمان المعاش وخبرتنا مع الله. نعرفه لأنه أظهر نفسه لنا. «الله الرب ظهر لنا، فمبارك الآتي باسم الرب» (صلاة السحر). لقد أحبنا الله وكشف ذاته لنا، ذلك لأن المحبة تدفع المحب أن يكشف ذاته للمحبوب: «أنا أحبه وأُظهر له ذاتي» (يو١٤:٢١). لقد كشف الله ذاته لنا من خلال آثاره في الخليقة، من خلال القوانين الطبيعية، من خلال قلب الإنسان وضميره، وبالوحي الإلهي وتاريخ الخلاص الذي بلغ ذروته بتجسد ابن الله يسوع المسيح.

بالنسبة لكيفية معرفة الله من خلال الطبيعة، يقول الرسول بولس: «معرفة الله ظاهرة فيهم لأن الله أظهرها لهم، لأن أموره غير المنظورة تُرى منذ خلق العالم مدركة بالمصنوعات قدرته السرمدية ولاهوته» (رو١: ١٩و٢٠). ويقصد بهذا الكلام ان الله يُعرف من خلال خليقته، فهي تعرفنا عليه إذ ان «السموات تحدث بمجد الله والفلك يخبر بعمل يديه» (مزمور ١:١٩).

إن وجود العالم والكون مع كل النواميس الطبيعية التي تحيط بهما تقودنا إلى الاعتقاد بوجود الله. من لا يندهش عند دراسته الكون والفلك والشمس والكواكب والنجوم؟ فالنظام الشمسي، أي الشمس والكواكب السيارة التي تدور حولها، تسير وفق قواعد حسابية دقيقة دون أن تصطدم وتدمر، حتى اننا نستطيع أن نعرف بالتدقيق، بالثواني، متى سيحصل خسوف القمر أو كسوف الشمس بعد ألف عام وأكثر. أحد العلماء كتب منذ فترة قصيرة أنه يستطيع أن يكتب آلاف المجلدات حول حركة الكواكب وتطور وجودها، لكنه يقف مذهولاً أمام ضابط حركة هذه الكواكب الذي هو الله. قد يتفلسف أحدهم ويقول ان الجاذبية التي في الشمس هي التي تجعل الكواكب تدور بهذا الانتظام. جيد، لكن من أوجد الجاذبية. أليس الله؟

لنأخذ أيضاً جسم الإنسان، كيف يعمل بتناغم وتناسق وعلى أكمل وجه. فطريقة عمل الجسم البشري هي من أشد الظواهر الموجودة تعقيداً وأكثرها إجلالاً. فكل عضو من الجسد له مهمة تتناسق مع مهمات الأعضاء الأخرى. القلب يضخ الدم إلى الأعضاء لتبقى حية، والكبد يحافظ على نسبة السكر معتدلة في الجسم فلا يصيب «النشاف» الشرايين والأوعية، والدم ينقل الأوكسجين للخلايا لتبقى حية... لنتأمل كيف ينمو الجنين في رحم المرأة من خلية واحدة وكيف يتكوّن الجسم الإنساني بتعدد أعضائه وأجهزته من تلك الخلية الواحدة التي لا أعضاء فيها ولا أجهزة. الخلية الأولى تتكاثر إلى خلايا أخرى، وكل واحدة تتخصص لتصبح عظماً وأعصاباً وشرايين وقلباً ودماغاً إلخ... وكل هذا بتناغم كامل كأن مهندساً يقف وراء كل شيء. إنه الله. قد يتفلسف أحدهم أيضاً ويقول: لكننا نستطيع أن نستنسخ الإنسان. نعم، لكن العلم يحتاج إلى خلية حية يبدأ معها كل شيء، وهذه الخلية الأولى، إذا ما أردنا العودة إلى بدء البشرية، هي من صنع الله. لا يُنسخ الإنسان من العدم. الله وحده خُلق من العدم وهو يقف وراء هذا التطور الإيجابي في نمو الجنين منذ لحظات تكوّنه الأولى حتى ولادته، وهذا يصحّ أيضاً على عملية الاستنساخ.

لنتأمل غرائز الحيوانات، حيث تبدو الحشرات في بعض الأحيان أكثر حكمة وتقدماً من البشر. فالنحلة التي تبني خلايا الشمع المسدسة الأضلاع لتضع فيها العسل تعلم ما اكتشفه العلم لاحقاً أن الخلايا المسدسة الأضلاع تسمح بأن لا يبقى فراغ بين خلية وأخرى (مما يوفر المساحة) وبأن تكون الأضلاع مشتركة بين الخلايا (مما يوفر المواد).

لننظر إلى الورود، هذه المعامل الكيميائية المعقدة التي بإمكانها أن تحوّل التراب والماء إلى جمال أخَّاذ وإلى رحيق وسكريات. ألا يدفعنا كل هذا إلى التفكير بوجود ضابط أعلى لكل هذه الأمور. المادة بحسب العلم غير قادرة على التطور من تلقاء ذاتها. إنها جامدة. المادة ليست موجودة بحد ذاتها بل بفعل آخر. إذاً هناك دائماً سبب خارج الكون نسمّيه نحن المسيحيين الله يحرك ويضبط الأمور بعد أن أوجدها، أو أوجد أصلها. هل يوجد بيت دون بناء؟ أو ساعة لم يخترعها أحد؟ أو سفينة أو طائرة أو مركبة فضائية دون قائد؟ حتى في ما يسمى الصواريخ أو الطائرات دون طيار، هناك جهاز تحكم من بعد يديره أشخاص. لا شيء يوجد أو يتحرك دون صانع أو محرك.

في العلم سبب ونتيجة، صحيح، إنما «حيث انتقلنا في الكون نجد سلاسل مرتبطة حلقاتها ارتباطاً متيناً وكأن الكون آلة مركبة من دواليب كثيرة يحرك أحدها الآخر. كل من هذه الدواليب يستمد حركته من دولاب آخر. غاية العلم أن يكشف دوماً أسباباً جديدة، أي دواليب جديدة، وهكذا يفسر لنا الكون ولكن تفسيره ليس نهائياً لأن السؤال النهائي ليس ما هي الدواليب وما هو عددها ولكن ما هو سبب حركة الآلة كلها. ذلك لأنه مهما كثر عدد الدواليب، وحتى لو افترضنا ان هذا العدد غير متناه، فهذا لا يمنع أن تكون حركة الآلة مستمدة في النهاية من محرك أول. فإذا ألغينا هذا المحرك الأول توقفت الآلة لأن الدواليب، مهما تعددت تصبح بدونه عاجزة عن نقل أية حركة. هذا المصدر الأول الذي تستمد منه كل الأسباب فاعليتها، كما تستمد الدواليب كلها حركتها من المحرك الأول، هو الله. وكما ان الآلة تستمد باستمرار وفي كل لحظة حركة دواليبها من المحرك الأول، هكذا ليس صحيحاً ان الكون استمد وجوده في لحظة معينة من الله ثم أصبح موجوداً بذاته، لكنه لا يقوم إلا على الله، إن وجوده مستمد في كل لحظة ممن هو وحده واجب الوجود» (كوستي بندلي، مدخل إلى العقيدة المسيحية). هكذا نفهم قول يسوع ان أبي يعمل وأنا أعمل...

إن طلب المعرفة يتطلب تواضعاً منا واعترافاً بأن معرفتنا ناقصة، ويتطلب انفتاحاً لقبول كلام الغير. نقول هذا لأن التاريخ يعلمنا ان البعض قد يعارض هذه البراهين التي ذكرناها كما عارض كثيرون بعض النظريات العلمية لمجرد تشبثهم بآرائهم. فغاليليو أُحرق في روما لأنه قال ان الأرض كروية وليست مسطحة. المتشبثون بآرائهم لا يبتغون المعرفة بل الحفاظ على مواقعهم، وينطبق عليهم قول السيد الوارد أيضاً في نبوءة أشعياء: «تسمعون سمعاً ولا تفهمون، ومبصرين تبصرون ولا تنظرون... آذانهم قد ثقل سماعها، وغمَّضوا عيونهم لئلا يبصروا بعيونهم ويسمعوا بآذانهم ويفهموا بقلوبهم ويرجعوا فاشفيهم» (متى ٣: ١٤و١٥).

يبقى ان البرهان الوحيد على وجود الله هو إيماننا. فالمؤمن ليس بحاجة إلى برهان. انه يحس بالله ويختبر وجوده. يكفي أن ينظر حوله إلى جمال هذا الكون والطبيعة ليسبح الله. المؤمن لا يحتاج أن يبرهن وجود شخصه لهذا لا يحتاج إلى برهان على وجود الله. «طوبى لأنقياء القلب لأنهم يعاينون الله» (متى ٨:٥).

+ تأمل

إني أكتب هذه الأسطر، وروحي تتهلّل مصلّية لأجل أن يصير أساقفتنا على مثال السّيد يسوع المسيح.

ونحن أيضاً،ذلك القطيع الصغير، رغم أنه ليس عندنا أية نعمة حتى ولو قليلة فإننا نحن أيضاً مشابهون للسّيد.إن البشر لا يعرفون هذه الأسرار،لكن يوحنا اللاهوتي قال بوضوح: "سنكون نحن على شبهه، بحسب هيئته"، وهذا لايتم بعد الموت فقط، بل أيضاً منذ الآن، لأن السّيد الرحوم أرسل لنا إلى الأرض الروح الغني والمعزّي ، والروح القدس حيّ في كنيستنا، وهو حيّ في الرعاة القدّيسين وفي قلوب المؤمنين،ويحثّ النفس على الجهاد ضد الأهواء، وهو يمنح القوة الضرورية لتطبيق الوصايا السيّدية، وهو يرشدنا ويقودنا إلى ملء الحقيقة، ولقد جعل الإنسان بهياً لدرجة صار معها مشابهاً للسيّد.

علينا التذكر دوماً ان الأب الروحي يتم خدمته بواسطة الروح القدس، ولهذا وجب الشهادة له بالإكرام.صدّقوا يا إخوتي أنه لو حصل لأحد أن يموت بحضرة أبيه الروحي قائلاً له: "أيها الأب القدّيس، إمنحني بركة معاينة السّيد في ملكوت السموات"، وأجابه المعرّف: "إذهب يا بنيّ وعاين السّيد"، فهذا هو ما سيتمّ معه ببركة أبيه الروحي، لأن الروح القدس هو هو عينه في السماء وعلى الأرض.

إن لصلوات الأب الروحي قدرةً عظيمة.لقد تعذبت كثيراً من الشياطين بسبب كبريائي، لكن السيّد جعلني متواضعاً، مشفقاً عليّ وذلك بفضل صلوات أبي الروحي، والآن لقد كشف لي السيّد أن الروح القدس يستريح في الآباء الروحيين، ولهذا فإني أحبهم كثيراً. ونحن نمتلىء من النعمة بصلواتهم ونأخذ الروح القدس والفرح بالسيّد الرب الذي يحبّنا والذي أعطانا كل ما هو ضروري لخلاص نفوسنا.

إذا أخفى الإنسان شيئاً ما عن أبيه الروحي، فطريقه يصبح معوجاً، وهذا لايقوده الى الخلاص، لكن الذي يكشف كل شيء لأبيه الروحي، فإنه سيذهب توّاً الى ملكوت السموات.

سألني راهب مرّة: "قل لي ماذا أعمل حتى أصحّح حياتي؟ " وكان يحب الأكل كثيراً خارج الأوقات المحدّدة ،فقلت له: "أكتب يومياً كم أكلت، وماذا كانت "أفكار قلبك"، واقرأها مساء لأبيك الروحي". فأجابني: "لا أستطيع أن أفعل ذلك".

هكذا ، لم يستطع ذلك الراهب تخطّي خجله الصغير من الاعتراف بضعفه.وهكذا لم يصلح نفسه ومات من جرّاء سكتة قلبية.فليغفر السّيد لأخينا، وليحفظنا من ميتة مشابهة.

إن الذي يطلب ان يحيا في الصلاة الدائمة، عليه أن يكون شجاعاً وحكيماً، وأن يطلب في كل شيء نصيحة أبيه الروحي.وإذا لم يكن للأب الروحي خبرة ذاتية كبيرة وواسعة في الصلاة، فاسأله في جميع الأحوال، والسّيد لأجل تواضعك، سيترأف بك وسيحفظك من كل خطأ. لكنك إذا قلت: " إن هذا الأب الروحي غير مختبر في هذه الأمور ، لأنه منشغل كثيراً، لذلك سأذهب الى الكتب وأقود نفسي بنفسي"، فإنك ستكون على طريق الخطر وعلى حافة "الخداع" الروحي.إني أعرف كثيرين ضلّوا هكذا في أفكار قلوبهم، وبسبب إحتقارهم أو إقلال شأن أبيهم الروحي، لم يتقدّموا. إن هؤلاء ينسون أن نعمة الروح القدس هي الفاعلة في الأسرار وهي التي تخلّصنا. هكذا يحاول "العدو" أن يوقع النسّاك بالخطأ، لكي لايكون هناك رجال صلاة حقيقيين، لكن الروح القدس ينير روحنا عندما نتبع نصائح رعاتنا.

إن الروح القدس هو الذي يعمل في الأسرار الإلهية، وفينا بواسطة الأب المعرّف؛ وعندما نعود من عند أبينا الروحي، تحسّ روحنا بتجدّدها ويهيمن عليها حسّ سلامي بحب للقريب، لكنك إذا عدت مضطرباً من لدن أبيك الروحي، فهذا يعني أنك لم تعترف بكل خفايا قلبك وأنك لم تغفر من كل قلبك خطيئة أخيك.

على الأب الروحي أن يفرح عندما يرسل إليه السّيد نفساً تائبة وطالبة التوبة، لأنه بحسب النعمة المعطاة له، عليه شفاء هذه النفس. وبذلك سيكسب أجراً عظيماً من عند الله ويكون كالراعي الصالح لخرافه.

القديس سلوان الآثوسي